

الخطاب المسجدي وأهميته في التحذير من التكفير.

Religious discourse in mosques and its importance in warning against disbelief and atonement

محي الدين عباسي

جامعة الزيتونة، تونس.

abbessimoheddine@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2023/01/12

تاريخ الارسال: 2022/12/27.

ملخص:

وتتمثل أهمّ النتائج في بيان المفارقة بين الصّورة التي رسمها التكفيري في عقله بحكم أفكاره المغلوطة، التي قادتته إلى الحكم على غيره بالتكفير، وبين الصّورة الحقيقية للإسلام الذي ينهى عن التكفير، ومن هنا أهمية اضطلاع الخطاب المسجدي في نشر قيم السلم والمحبة والتسامح والوسطية والاعتدال، ونبذ التعصب والتطرف، والتصدي للأفكار الضالة والرؤى المنحرفة، وضرورة تضافر الجهود لمعاوضة دور هذا الخطاب من قبل الأسرة والمدرسة والجامعة وكل مؤسسات المجتمع الاجتماعية والتربوية والإعلامية وفي الفضاء الافتراضي، للتحذير من خطر التكفير على استقرار الأفراد والمجتمعات.

إن التحذير من التكفير من أؤكد ما ينبغي على الخطاب الديني المسجدي التوعية به في الدروس والمحاضرات والمواعظ والخطب المقدمة في المسجد، والتي يؤثنها الدعاة والعلماء والوعاظ والمدرسون والمحاضرون الذين يغرسون العقيدة الصحيحة، ويحذرون من الكفر والتكفير ويبينون خطر المفاهيم الخاطئة، والانحرافات الفكرية، على أمن واستقرار الأفراد والمجتمعات، ولتجلية ذلك استند هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي لتوضيح أهمية الخطاب المسجدي في التحذير من التكفير.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب؛ الدين؛ المسجد؛ الكفر؛ التكفير.

Abstract:

The warning against disbelief and disbelief affirms what the religious discourse of the mosque should raise awareness about in the lessons, lectures, preaches and assembly speeches presented at the mosque. instilled by preachers, scholars, preachers, teachers and lecturers who instill the right doctrine, They warn against disbelief and atonement and show the danger of misconceptions, intellectual deviations, To demonstrate the security and stability of individuals and societies, this research was based on descriptive and analytical methodologies to illustrate the importance of rhetoric in warning against disbelief and atonement.

The most important result is the great irony between the image painted by Takfiri in his mind by great irony between the image

painted by Takfiri in his mind by virtue of his misconceptions and misconceptions, which led him to judge others by atonement. and between the true image of Islam, which ends with disbelief, and the importance of the observance of discourse in the dissemination of the values of peace, love, brotherhood, cooperation, tolerance, mediation and moderation s role by the family, the school, the Institute, the University, all social, educational and media institutions and in the virtual space, to warn against the threat of disbelief and atonement to the stability of individuals and societies.

Keywords:

speech; Religion; The mosque; disbelief; Atonement.

إن التفكير في الكفر والتكفير موضوع يستحق البحث والدراسة والتوعية به، في ظل ظهور فكر منحرف يتخذ التطرف والتعصب والانغلاق والتشدد والتكفير نهجا له في فهم النصوص الدينية، حيث احتلّ عقول عدد من أبناء المسلمين، وامتد إلى عنف لفظي، ثم تضخم وصار عنفا ماديا، يستبيح الدماء والأموال، وينشر الفوضى بين المسلمين وغيرهم، وصار يمثل خطرا على الأمن والأمان والسلم السلام، ويشوه نقاوة الإسلام، وهو ما جعل أمر تصحيح هذا الفكر المنحرف، وبيان خطورته ونشر الفهم الصحيح للدين من أوكد ما ينبغي على العلماء والمصلحين الاهتمام به لتحقيق أمن الأفراد والمجتمعات، لأن عدم تحقق الأمن داخليا أو خارجيا يوقع الخلل والاضطراب، وينشر التطرف والإرهاب. ويعتبر التحذير من الكفر والتكفير من أوكد ما ينبغي أن يضطلع به الخطاب الديني المسجدي المتمثل في الدروس والمحاضرات والمواعظ والخطب الجمعية، والتبصير بخطر المفاهيم الخاطئة، والشبهات المنتشرة، والانحرافات الفكرية، على أمن واستقرار الفرد والمجتمع وعلى السلم والسلام العالمي والإنساني .

• إشكالية البحث.

تتلخّص إشكالية البحث في أنها تستجلي أهمية دور الخطاب المسجدي في التحذير من الكفر والتكفير، وتجيّب عن سؤال ما هي أهمية الخطاب المسجدي في التحذير من الكفر والتكفير لتحقيق استقرار الأفراد والمجتمعات وأمنها وسلمها وسلامها.

• أهمية الدراسة.

إنّ التحذير من الكفر والتكفير من المواضيع المهمة في الوقت الحاضر نظرا لراهنيته، بحيث أصبحت دراسته ضرورية وملحة في ظل ظهور فكر منحرف يتخذ التطرف والتعصب والانغلاق، نهجا قوليا وسلوكيا في علاقته بالآخرين، وما يترتب على ذلك من سلبيات ومخاطر على الناس جميعا، وأهمية الخطاب المسجدي في توعية رواد المساجد الذين يواكبون باستمرار الخطاب المسجدي المقدم سواء كان موعظة أو درسا أو محاضرة

وخاصة في صلاة الجمعة والإنصات لخطبتها وتحذيرهم من الكفر والتكفير وإبراز آثارهما السلبية الخطيرة .

• تحديد منهجية الدراسة.

يعتمد هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي لتوضيح أهمية الخطاب المسجدي في التحذير من الكفر والتكفير وخطرها على الأفراد والمجتمعات .

1. المصطلحات والمفاهيم والدلالات :

إذا كانت الدلالات المعجمية للمفردات والألفاظ والمصطلحات ضرورة علمية ومنهجية لتحديد المفاهيم والمعاني لكونها مفاتيح العلوم والمعارف والأفكار، كما أن تحديد اللفظ والمصطلح والمفردة يزيد الفهم والوضوح، لذا سنضبط تبعاً لذلك مفاهيم البحث كالآتي :

1.1 الخطاب:

الخطاب والمخاطبة: «مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحقّ والباطل ويميّز بين الحكم وضده»¹.
والخطاب كما ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم (معنى خاطب) : « خاطبه مخاطبةً وخطاباً: تكلم معه، والخطب: الشّان الذي تقع فيه المخاطبة»²، وقد ورد لفظ الخطاب في قول الله عزّ وجلّ : (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ)³، وقد وردت كلمة الخطاب في المعجم الوسيط «بمعنى الكلام والرّسالة»⁴، وهو «المواجهة بالكلام أو ما يخاطب به الرّجل صاحبه، ونقيضه الجواب»⁵، وهو «الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يستحقّ خطاباً»⁶.

إنّ الخطاب مفردة لغويّة يشير إلى مصدر الفعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم، أي نقله من الدلالة على الحدث الوارد من الزّمن إلى الدلالة الاسميّة، فأصبح قديماً يدلّ على ما خوطب به وهو الكلام،⁷ وقال الأصفهاني:

خطب الخطب المخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ومنه الخطبة بضمّ الخاء تختصّ بالموعظة، ويقال من الخطبة خاطب وخطيب والخطب الأمر العظيم الذي يكثر منه التخاطب قال الله تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ)،⁸ وقال عزّ وجلّ: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ)،⁹ قال الزّمخشرى : خطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام

10.

أستنتج مما سبق أنّه عندما نرجع إلى الجذور اللّغويّة للفظة الخطاب أجد معناها يدور حول الكلام بقصد الإبانة، وحول ما يتلقّف به، فالخطاب لغة بيانيّة تهدف إلى نقل الأفكار والمعارف عبره، وهو « مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل المتكلم أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه أو السّامع أو القارئ »،¹¹ إذ الخطاب « يقتضي هيئة مرسلّة DESTINATEUR، ورسالة MESSAGE، ومرسلًا إليه DESTINATAIRE، ويبقى المرسل إليه الهدف الذي إذا استجاب للرّسالة تحقّق هدف المرسل فالخطاب DISCOURS، ممارسة لغويّة تواصلية يتشكّل وفقا للموضوع الذي يصنع بنيته ».¹²

1.2 الخطاب اصطلاحا:

الخطاب هو كلّ نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محدّدة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التّأثير على السّامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تمّ فيها،¹³ فالخطاب هو المنطوق به « موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصاً »،¹⁴ والذي يصلح أن يكون كلاما، وهو « تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى »،¹⁵ وهو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متبرّئ لفهمه «،¹⁶

والخطاب هو فعل التّوظيف للغة، وأيضًا هو فعل مشاركة المعنى مع المتلقّي، فيتّجه المتكلم إلى اللغة ليتزوّد منها بالعناصر والضوابط التي تنتج النصّ اللّغوي، ومن هنا تتجلى ذاتيّة المتكلم التي هي مرجع إنتاج الخطاب في تلك التّشكيلات اللّغويّة التي أفرزها اشتغاله على اللغة.

أما المعنى فيتشكّل من تلك الأفكار التي يريد المتكلّم تقاسمها مع المخاطب، ونحن إذ نرصد تحولات هذه العلاقة بين المتكلّم في اتجاه اللّغة، وبينه وبين المخاطب، لا نستطيع أن نبعد دور السّياق الحاضن لعملية التّواصل في مجملها، ذلك أنّه أي السّياق يمارس فعالية مهمّة في ضبط وتوجيه كميّات التّواصل بما تحقّق له من مواصفات تؤثر على المتكلّم وعلى علاقته باللّغة.¹⁷

ويمثّل المتلقّي عنصرًا حيويًا في منظومة التّواصل، أمّا المتكلّم في الخطاب فيعتبر الأصل والمبدأ في مشروع التّواصل وفي إنتاج الخطاب، في حين أنّ التلقّي هو ممارسة مفتوحة بين المتكلّم والمتلقّي، لذلك نقول إنّ الخطاب يمتلك أهميته وحيويّة مفهومه، من خلال العلاقة التي تربط بين المتكلّم وما يقدّمه من خطاب، والمتلقّي المستهدف من الخطاب، « وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرّف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللّغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار».¹⁸ وقد وسّع مصطفى ناصف نطاق الخطاب، حين أشار إلى « وجود خطابات كثيرة، وطرق مختلفة لدراستها مؤكّدا أنّ العلاقات الاجتماعية لا يستوعبها خطاب واحد».¹⁹ ومن هذه الخطابات الخطاب الدّيني .

1.3 الدين:

هو مبادئ وقيم وتعاليم ليس من صنع البشر لأن مصدر تعاليمه إلهي، وفهمنا للدين ومعرفتنا به هو الذي ينبغي أن يتغير ويتجدد، ولا يجوز اختزاله في بعض صور التدين، أوفي فئة معينة من المتدينين، وتنقية ما قيل فيه من أباطيل والنأي به عن كل توظيف طائفي أو تجاذب سياسي أو خلاف مذهبي...

والدين الذي نقصده في بحثنا هو الدين الإسلامي، الذي نزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قوله عزّ وجلّ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)،²⁰ والإسلام لغة هو الانقياد والخضوع له بفعل أو امره، وترك نواهيه، يقال: أسلم واستسلم، أي: انقاد ومنه قول الله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

لِلْجَبِينِ)²¹ ، أي: فلما استسلما لأمر الله وانقادا له، وكلمة الإسلام من الاستسلام أو التسليم لله عز وجل واتباع دينه، والإيمان به وبوجوده وبوحدانية وبأنه لا إله إلا الله خالق الكون وأن دينه هو الدين الحق .

1.4 الخطاب الديني:

هو كلام موجّه إلى النَّاس يراد به الإقناع والتبصير بحقائق الدين وتركيز العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وتزويدهم بمعرفة ثابتة تقوي إيمانهم وتهديهم إلى سواء السبيل وتعليم الناس ما ينفعهم، وهو اجتهاد بشري يتسم بالنسبية لأنه يعبر عن اجتهادات فردية وهو ليس الدين لأن الخطاب الديني أفهام مرتبطة بواقع وزمان وظرف معين، وفهم النَّص ليس ديناً باعتبار أنّ هذا الفهم يمكن أن يكون صائبا كما يمكن أن يكون خاطئاً، وأنّ القصور في الخطاب الديني لا يعني قصورا في الدين، فهناك فرق بين الدين كوجي ربّاني يشكّل نظريّة حياة متكاملة خالدة، وبين إخفاق المسلمين في ترجمة النظريّة إلى واقع حضاري، فالخطاب المتعصب أو المتطرّف مثلا لا يعبر أبدا عن قيم الإسلام ومبادئه النبيلة .

فالخطاب الديني هو «رسالة تصدر عن باثّ يعي طبيعته مرجعيّتها العقديّة والقيميّة، وحاجة المتقبّل إلى تمثّل مضامينها واعتمادها في تدبّر تعاليم الدين الجامع بينهما وإدراك حقائقه، مبرّأة من كل ضروب الشّوائب و البدع والأباطيل»²².

و«يشمل الخطاب الديني مجموع ما يُعرض، في المقول والمكتوب، من الرّؤى، والتّأويلات، والاجتهادات، والفتاوى، والأحكام التي يستخلصها أصحابها من قراءة النَّص الديني، وتنزيله في الواقع، وابتغون بنشرها الإسهام في تعميق الوعي بمقاصد الدين الحنيف وحاجة النَّاس إلى الاعتصام بمبادئه السّامية، وتجسيد قيمه السّميحة، تحقيقا للمصلحة التي هي غاية الشريعة الغراء، وسعيا إلى التّبصير بما به التّهوض بمسؤوليّات خلافة الله في الأرض»²³.

فالخطاب الديني هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعيّة إسلاميّة من أصول دين الإسلام، القرآن والسنة، وسائر المصادر الفرعيّة الأخرى، وهو كلام موجّه إلى النَّاس يراد

به الإقناع والتبصير بحقائق الدين وتركيز العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وتزويدهم بمعرفة ثابتة تقوي إيمانهم وتهديهم إلى سواء السبيل، وهو « شكل بياني يهدف إلى تغيير ما بالنفوس والعقول، لتستوي الأحوال وتستقيم الأمور »،²⁴ وهو « أداة فاعلة للإبلاغ والتأطير والتوعية الشاملة وتثقيف الناس الثقافة التي يحتاجونها في حلهم وترحالهم وفي معاشهم ومعادهم »²⁵.

وما يهم في هذا البحث هو الخطاب الديني المتمثل في المحاضرات والدروس والمواعظ والخطب الجمعية التي تقدم في المساجد .

1.5 المسجد :

هو اسم مكان مشتق من فعل ثلاثي مجرد هو "سجد يسجد"، ولهذا اتخذ اسم المكان من هذا الفعل وأطلق على محل العبادة والصلاة ،²⁶ نقول : سجد، سجودا: خضع وتذلل ووضع جبهته على الأرض فهو ساجد.. يقال فلان ساجد المنخر: ذليل خاضع، المسجد: مصلى الجماعة، والمسجد الحرام: الكعبة، والمسجد الأقصى: بيت المقدس.²⁷ والمسجد هو مفعل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر، قال أبو زكريا الفراء: كل ما كان على فعل يفعل كدخل يدخل كالمفعل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا، ولا يقع فيه الفرق مثل دخل مدخلا .

ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين، منها: المسجد، والمطلع، والمغرب والمشرق وغيرها فجعلوا الكسر علامة للكسر، وربما فتحه بعض العرب، وقد روى: المسجد والمسجد والمطلع والمطلع، قال: والفتح في كله جائز، وإن لم نسمعه، قال في الصحاح: والمسجد بالفتح : جهة الرجل حيث يصيبه السجود، ويقال: مسجد بفتح الميم حكاه غير واحد،²⁸ والمسجد هو « موضع السجود أكان سجودا شرعيا بوضع الجبهة على الأرض أم سجودا لغويا بمعنى التذلل أو التقديس».²⁹

أما تعريفنا الإجرائي للمسجد فهو المكان أو المبنى الذي يقيم فيه المسلمون صلاتهم، كما يقوم بتأدية بعض الأعمال والواجبات التي تقع على عاتقه مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع كالتوجيهات التربوية أو حل بعض المشكلات الاجتماعية أو إرشادات أو

تداول أمور تهم أوضاع المسلمين والمجتمع، ومحاولة معالجته أو تخفيف من وطأته أو آثاره عن طريق أهل الرأي والمشورة والعلم أو بتقديم بعض المعونات أو المساعدات لمحتاجيها. ويعد المسجد « المكان الذي يجتمع فيه المسلمون بغض النظر عن اختلاف ألوانهم

وأجناسهم فهم جميعا يقفون صفا واحدا للصلاة أمام الله سبحانه وتعالى». ³⁰

والمسجد كل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم: « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ». ³¹ وهذا من خصائص هذه الأمة ، والمسجد هو الفضاء الذي تقام في الصلوات الخمس والنوافل وصلوات الجمعة وعيد الفطر وعيد الإضحى ..

فالمسجد بيت الله، وموطن تنزل رحمته وسكينته، وإشعاع نوره في الأرض، وأشرف البقاع عند المسلمين وأقربها إلى قلوبهم وعقولهم، وفيه تزكى نفوسهم، وهو الملاذ الذي يجد فيه المسلم راحته ليمتلئ إيمانا ونشاطا، يعينانه على مواجهة الحياة وصعابها، وفيه يذكر اسم الله، ويقترب إليه بالذكر والتسبيح، وتلاوة القرآن والتدبر والتفكير، فضلا عن الدور الاجتماعي للمسجد باعتباره ملتقى المسلمين يقرب فيما بينهم ويزيد في تكافلهم وتعاونهم وتشاورهم وتزاورهم، «يدعون الله أن يرشدهم ويوصلهم إلى طريق الحق والسعادة». ³²

إن وظيفة المسجد تعبدية وأخلاقية واجتماعية وحضارية، فكان « المسجد المكان المتخذ للصلاة »، ³³ و « موطن التنفيذ والتشريع والتعليم والقضاء والتثقيف والبناء الاجتماعي ». ³⁴ إضافة لإشعاعه العلمي والحضاري في حياة المسلمين، وباقتران البعد الروحي والأخلاقي والاجتماعي والحضاري تتبلور أهداف الإسلام النبيلة في البناء الإنساني والكوني .

1.6 الكفر :

الكفر من كفر أي ستر الشيء، وقد وصف الليل بأنه كافر لستره الأشخاص، وكذلك يقال: "للزارع كافر" لستره البذر في الأرض، وكُفِر النعمة وكفرائها: سترها بترك أداء شكرها، ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة، صار يُستعمل في الجحود. ³⁵

وبناء على ذلك فالكفر يقوم على الإنكار والجحود، وهو تعبير من طرف الكافر قولاً أو فعلاً أو بكليهما، فهو اختيار مبدئي معلن، وقد يكون في القلب دون تعبير، فمُنكر التوحيد كافر به، ومنكر اليهودية كافر بها، ومنكر الأصنام كافر بها، وهكذا الأمر في كل مجحود، وعلى هذا الأساس يسمى المسلم كافرًا من جهة أنه يجحد كل ما يخالف عقيدة الإسلام، ويكفر بالشرك ويتبرأ منه، كما قال الله تعالى على لسان أتباع إبراهيم عليه السلام وهم ينكرون الشرك الذي عليه قومهم (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ)³⁶ والمسلم كذلك كافر بالطاغوت كما قال عز وجل : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)³⁷.

أما اصطلاحاً فلفظ الكفر ضد لفظ الإيمان، لذلك « اختلفت الفرق الإسلامية في تعريف الكفر بناء على اختلافهما في تعريف الإيمان»³⁸ وعرفه أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) بأنه « تكذيب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء مما جاء به والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به»³⁹ ، فهو بهذا المعنى «اعتقاد نظري لا علاقة له بالعمل إذ هو إنكار لأصول الإسلام لا لفروعه؟ ولما هو معلوم من الدين بالضرورة، والتواتر القطعي، لا لما هو مختلف فيه من الظنّيّات التي هي محلّ اجتهاد»⁴⁰.

1.7 التكفير:

التكفير حكم من الآخر على الغير يحتمل الخطأ والصواب، وذلك لأنّه - أي التكفير - تفعيل من الكُفْرِ يقال كَفَّرَ فلان فلانا إذا نسبه إلى الكفر وهو « الحكم على المعين بالردة والخروج من ملة الإسلام»⁴¹.

وهو ليس قولاً عادياً بل هو كما قال الغزالي « مسألة فقهية»⁴² أي أنّه حكم شرعي على شخص معيّن أو جماعة معينين تترتب عليه آثار خطيرة في الدنيا والآخرة، تبعاً لذلك فلا ينبغي أن يصدر إلا عن فقيه مجتهد ومسؤول، لا عن أيّ شخص لا علم له ولا دراية له بالقواعد والضوابط، فضلاً على أنه حكم فقهي يشترط فيه اليقين لأن موضوعه إزالة

إيمان ثبت باليقين واليقين لا يزول بالجهل ولا بالشك ولا بالظن « فمن دخل في الإسلام ييقين لا يخرج منه إلا بيقين مثله». ⁴³

2. أهمية الخطاب المسجدي في التحذير من التكفير:

للخطاب المسجدي أهميته في التحذير من خطر الكفر والتكفير على الأفراد والمجتمعات، لأن الدين الإسلامي نهى عنهما وشدد في ذلك، ومن ذلك ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما» ⁴⁴ ومعنى باء به أحدهما لا يستلزم كُفْر أحدهما بالضرورة، بل كما قال ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) «أن المقول له إن كان كافرا كفرا شرعيا، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرّة ذلك القول وإثمه». ⁴⁵ وقال ابن حجر «التكفير لا الكفر فكأنّه كَفَّرَ نَفْسَهُ» ⁴⁶.

ومن ذلك أيضا ما ثبت من حديث بن الضحاك عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حلف بملة غير الإسلام كاذبا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عُذِّبَ به في نار جهنم وَلَعُنُ الْمُؤْمِنُ كَقَتْلِهِ، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله» ⁴⁷ وكون لعن المؤمن كقتله وقذفه بالكفر لا يعني أنهما متساويان في الإثم والعقوبة بل متساويان في أن الجميع حرام، وذلك لأن القتل الفعلي يترتب عليه القصاص، ولم يقل أحد بأن اللعن والتكفير يوجبان القصاص، فهو تشبيه في بعض لا في جميعها ⁴⁸.

لقد تبين من خلال الأحاديث الصريحة أن التكفير خطير العواقب في الدنيا والآخرة ولا يجوز القيام به وإشاعته بين المسلمين، كما يجد القائمون على الخطاب المسجدي من علماء ودعاة ووعاظ ومدرسون ومحاضرون في خطابهم، سواء كان خطبة أو موعظة أو درسا أو محاضرة أو موعظة ضالتهم في الأحاديث والآيات والتراث الإسلامي الزكي.. ما يستأنسون به للتحذير من الكفر والتكفير، ومنه الجوانب التالية:

2.1. تصحيح المفاهيم الخاطئة والانحرافات الفكرية :

تتجلى أهمية المسجد في إبراز محاسن الدين القويم وتصحيح المفاهيم الخاطئة والتحذير مما تحمله الانحرافات الفكرية من أفكار ضالة وأثار خطيرة على الفرد و« تعديل سلوكه وتصحيح أفكاره، وثبتت عقيدته، ووقايته من الأفكار المنحرفة»،⁴⁹ و الانحراف هو «الميل والعدول عن الشيء»،⁵⁰ لذا فكل ميل عما هو مألوف يعد انحرافاً،⁵¹ وخاصة إذا كان انحرافاً باسم الدين، والانحراف هو اختلال في فكر الإنسان وعقله وخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراتهِ وتوجهاته للأمر، فيكون سبباً للوقوع في الشبهات والأهواء، وتجاوز الحدود في الأقوال والأفعال، وارتكاب الفتن والجرائم، وبالتالي فقدان الأمن والاستقرار.

وهنا يظهر دور القائم على الخطاب الديني في المسجد من التوعية بمخاطر التعصب والتشدد والتطرف بما يقدمه في الخطب والمحاضرات والدروس توعية وتوجيها، شكلاً ومضموناً وأسلوباً للتأثير في المخاطبين .

إنَّ التطرف ظاهرة مرضية خطيرة على أمن المجتمع، ويقع على عاتق القائمين بالخطاب الديني في المساجد واجب التصدي والتوعية بخطورتها على الأفراد وتوضيح بما يتركه فيهم من آثار سلبية على الفكر والسلوك ومنها الأثر الذاتي على المتطرف نفسه، فينظر إلى الواقع نظرة شاذة خاطئة لا تتصف بالموضوعية، وبالتالي فالتطرف الفكري مرض يُصاب به الفكر، وحالة سقيمة تجعل الإنسان في وضع غير طبيعي وغير سويّ، ويتهم غيره بالكفر، والتكفير هو الحكم بالكفر على شخص معيّن أو على طائفة أو فرقة من الفرق⁵² ، ولقد حدّر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تكفير المسلمين فقال: " أَيْمًا رَجُلٌ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٍ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا "⁵³

بل إنَّ تكفير المؤمن كقتله، فعن ثابت ابن الضحاك رضي الله عنه أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله».⁵⁴

وهذا الفكر خطير جدا على المجتمع وعلى الإسلام والمسلمين، لأنّه يؤدّي إلى انحراف الإنسان عن المنهج الديني الصحيح، الأمر الذي ينعكس على العقيدة والسلوك، ويحتاج إلى معالجة علمية تحاول التعرف على الأسباب المؤدية إلى مثل هذا السلوك .

والعجيب أنّ البعض يكفّر دون أي سبب علما بأنّ الأصل في المسلم أن يُحسن الظنّ بأخيه، قال الإمام مالك رحمه الله: « لو احتمل المرء الكفر من تسع وتسعين وجه، واحتمل الإيمان من وجه واحد، لحملته على الإيمان تحسينا للظنّ بالمسلم ».⁵⁵

كما أنّ للتطرف أثرا سلوكيا باعتبار أنّ السلوك انعكاس للفكر، وإذا كان التطرف الفكري حالة مَرَضِيَّة غير سوية في الفكر، فإنّه سينعكس على السلوك فيصبح سلوكا غير سوي، وسيكون قابلا للعدوى والانتشار، وفي ذلك خطر كبير على المجتمع.

كما أن له أثرا اجتماعيا، فحينما يشقّ التطرف الفكري طريقه في المجتمع، ويتحوّل من حالة فردية إلى حالة مجتمعية قد تأخذ شكل تيار في المجتمع أو فرقة أو تنظيم، فإنّه يلعب دورا سلبيا في التضليل وضرب منظومة القيم والمعايير، قد يسبب فتنة دينية أو سياسية أو ثقافية .. تُقوّض السلم المجتمعي.

وإنّ المتنبّع للتاريخ يجد أنّ المجتمعات المتنوعة لطالما عانت من انشقاقات ضربت أمنها ووحدتها وتماسكها نتيجة للتطرف الفكري، وتاريخنا الإسلامي حافل بالمعاناة من انشقاقات أحدثها التطرف الفكري تصدّع منها شمل الأمة الإسلامية.

2.2. التوعية بالقيم السامية والمبادئ النبيلة :

للخطاب المسجدي دور في التحذير من الكفر والتكفير من خلال تحصين النفس بالمبادئ الأخلاقية والسلوكية و« حث الإنسان على ما يزيّج به نفسه ويظنّ قلبه بأن يعرف الفضائل ويتخلّق بها، ويعرف الرذائل ليتجنّبها ويتوقاها »،⁵⁶ ومن ذلك ذكر على سبيل المثال لا الحصر :

2.2.1. التوعية بقيمة التسامح الديني

ويكون ذلك بتوضيح اعتراف الإسلام بكل الديانات السابقة له، وفرض الإيمان بالكتب السابقة للقرآن الكريم، والأنبياء السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم، والتذكير بصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم على النجاشي صلاة الجنابة، رغم أنه على دين آخر، ورغم المسافة المكانية بينهما،⁵⁷ وتعايش المسلمين الأوائل مع اليهود والنصارى في مختلف الأمصار الإسلامية، وكيف أنهم كفلوا لهم كافة الحقوق المشروعة، وفتحوا لعلمائها المجال في العمل في الدولة والتأليف وممارسة الطب والترجمة أفادت منها الحضارة الإسلامية.

2.2.2. التوعية بقيمة التيسير

للمسجد دور في نشر القيم والمبادئ النبيلة بين الناس ومن هذه القيم : قيمة التيسير وإبراز حرص الإسلام على إشاعة اليسر ورفع الحرج من خلال القرآن والسنة ومن ذلك قوله تعالى: (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)،⁵⁸ ويقول سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)،⁵⁹ وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»⁶⁰ قوله: (يشاد الدين أحد)، أي : يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته، وقال صلى الله عليه وسلم: « هلك المتنتعون، هلك المتنتعون، هلك المتنتعون»،⁶¹ أي المتعمقون المغالون، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: « إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»⁶² وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع»⁶³.

والتطرّف كذلك يُخرج العبادات عن روحها ومضمونها، فالمتطرّف قد يضيّع حدودا، أو يضيّع فرائض من أجل مندوبات وسنن وذلك لقصور فهمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَايِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ عَنِ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا ".⁶⁴

2.2.3. التوعية بالرخص دون تساهل

ويتمثل ذلك في إقرار الرخص دون تساهل في الأحكام، فالله جلّ شأنه يحبّ أن تُؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى فرائضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته».⁶⁵

2.2.4. تقديم الترغيب على التهيب

التبصير بدعوة الإسلام إلى تقديم الترغيب على التهيب: لقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)،⁶⁶ وهذا الانفضاض نتج عن الأساليب القائمة على التخويف واحتقار ذات المتلقّي وتجريمه وتخطئته، فالنفس مجبولة على الرفض والمكابرة إذا حُقّرت ولم تجد الاحترام اللائق بها.

2.2.5. التوعية بقيمة الوسطية

ويتمثل ذلك في الحث على الوسطية وهي الاعتدال في جميع الأمور،⁶⁷ قال الله تعالى: (وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)⁶⁸، أي: «لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هو الخيار والأجود».⁶⁹

2.2.6. نشر ثقافة الاختلاف

توعية الخطاب المسجدي بأنّ ثقافة الاختلاف الإسلامي تحافظ على السلم الاجتماعي، وكيف أن المسلمين عاشوا في ظلّ المدارس الفقهية المختلفة ولم يكن هناك تعصّب لرأي أو فكر، ولذلك فإنّ كلّ آراء الفقهاء تدور حول هذه العبارة: "إن صحّ الحديث فهو مذهبي".

فإذا تمّت التوعية بثقافة الاختلاف فضلاً عن قيمة التذكير برأي الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما قال رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، فالوعي بذلك وجعله فعلاً ينجز وسلوكاً يعاين، يجعل الإنسان لا يثور من أجل رأيه، بل

يستمتع إلى رأي غيره، وإذا أصرَّ على رأيه، تعين عليه تقديم الأدلة والبراهين على صدق كلامه ، وكل ذلك له أثره الإيجابي سواء بين المسلمين في علاقتهم مع بعضهم البعض أو مع غيرهم من الملل النحل الأخرى لأنَّ «العلاقة بين الأمة المسلمة والأمم الأخرى تقوم على أساس وقواعد منها التعارف والتعاون والتسامح والحوار والمعرفة المشتركة وهذا عرض لمضامين هذه القواعد»،⁷⁰ وتجسيد ذلك يحقق الأمن والسلام الوني والإنساني .

3. توضيح الفرق بين الكفر والتكفير وبين السني والتكفيري

مما ينبغي على مقدمي الخطاب المسجدي توضيح الفرق بين المصطلحات ودلالات الألفاظ لأن الخلط بينها يرسخ سوء الفهم، فلو تتبعنا أسباب أكثر الصراعات العنيفة لوجدناها تعود إلى تنازع المصطلحات وإلى تداخلها في الأذهان لذلك كان العلماء المسلمون في شتى الاختصاصات حريصين على ضبط التعريفات التي سموها "حدودا" وقد اشترطوا في الحد أن يكون جامعا مانعا أي جامعا لخصائص الشيء المعرف، ومانعا من إدخال غيره، مما يشبهه فيه، لذا فإن أهمية الخطاب المسجدي جد مهمة لتوضيح الفرق بين الكفر والتكفير والفرق بين السني والتكفيري كالاتي :

3.1. الفرق بين الكفر والتكفير:

تعتبر مسألة الكفر والتكفير في حقيقتها نزاعا اصطلاحيا محوره المفاهيم ودلالات الألفاظ المتداخلة وهو ما يؤكد أنّ جذور الحلّ لهذا النزاع ينبغي أن تكون علمية بالأساس، لأن هناك من يخلط بين المصطلحين فيظنون أنهما أمر واحد أو أنهما مترابطين يستلزم أحدهما الآخر، والفرق بينهما ظاهر ابتداء من الصياغة، فالكفر صفة ذاتية للكافر تعبر عن موقفه الراض لمبدأ من المبادئ، بينما التكفير تفعيل من الكفر فهو بذلك صفة يلحقها المكفر بغيره، قد تكون مطابقة للموصوف وقد تكون مخالفة له، ولا تعبر تعبيراً صحيحاً عن واقعه العقدي.

والحاصل أنّ الكفر موقف إرادي يختاره الكافر بحرية واقتناع، بينما التكفير تدخّل خارجي وحكم على عقائد الآخرين بحكم يحتاج إلى كثير من الإثبات والتحري وهو بذلك لا يستلزم وجود الكفر بالضرورة.⁷¹

3.2. الفرق بين السني والتكفيري:

إن توضيح الخطاب المسجدي للمتلقين لهذا الخطاب في سياق حديثه عن التحذير من الكفر والتكفير أن يفرق بين السني التكفيري باعتبار أن ذلك يُعدّ أمراً ضرورياً كالاتي :

3.2.1. التكفيري

إنّ التكفيري هو الذي يتوسع في تكفير الغير دون احتياط وهو الذي صار التكفير صفة ملازمة له واتخذته شغله الشاغل، بحيث لا يخاطب أحداً إلا سعى إلى امتحان عقيدته قصد تصنيفه في دائرة الكفار أو ما دونهم من المبتدعة وأهل الضلال.

فهو بهذا إنسان مع قلة زاده العلمي، يزكي نفسه في غرور وتعال، ويتباهي في الغالب بانتماؤه إلى أهل السنة واتباع السلف، ويدعي امتلاك الحقيقة المطلقة ويخرج معظم أهل السنة من أهل السنة، وهو إذا لم يكفرهم نسبهم إلى البدعة والضلال، وقد يصل به إلى «استباحة سفك الدماء، فيتحول بذلك إلى كائن عدواني يغلب عليه العنف، فضلا عن معاداته جمهور الأمة بإخراجهم من عامة الأمة».⁷²

وقد يصف التكفيري نفسه بأنه "داعية" في حين أنه يفعل عكس ذلك لتشدده وتطرفه ولأنه ينفر الناس من الإسلام، إذ المفروض في الداعية أن يدخل الناس إلى الإسلام وأن يحبهم في قيم الإسلام السمحة ومبدئه السامية باعتماد الحكمة والموعظة الحسنة .

3.2.2. السني

إنّ السني عكس التكفيري لأنّه يلتزم بما عليه السلف وجمهور أهل السنة الذين يرون أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة،⁷³ ولا يتوسعون في التكفير بل يضيّقونه إلى حدود إنكار الأصول الكبرى صريحا بغير تأويل، وقد يستدل باستشهادات منها ما نُقل عن الشافعي

قوله: " لا أَرَدُ شهادة أحد من أهل القبلة إلا الخطابية،⁷⁴ فإنهم يعتقدون حل الكذب"،⁷⁵ أو ما روي عن أبي حنيفة انه لا يكفر أحدا من أهل القبلة،⁷⁶ وقال ذلك عامة كبار العلماء من أهل السنة حتى أن الأشعري صنف كتاب شهيرا بعنوان: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، فقد وصف جميع أصحاب الفرق بأنهم إسلاميون ومصلون، رغم اختلافهم الكبير، وقال في مطلع هذا الكتاب: «اختلف الناس بعد نبهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضا وبرا بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين وأحزابا متشتتين إلا أن الإسلام يجمعهم». ⁷⁷

وبعد أن عَرَفَ الغزالي الكُفْر لسانه عن تكفير الفرق لبعضها بعضا، قدم له نصيحة ثمينة بقوله: « أما الوصية فأن تكفّ لسانك عن أهل القبلة ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها، والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله بعذر أو غير عذر فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه». ⁷⁸

والحاصل أن أهل السنة ليسوا تكفيريين لأنهم لا يكفرون مخالفهم من أهل القبلة، والتكفير عندهم خطب جلل لا يقال به إلا في حدود ضيقة جدا بشرط ظهور الحجة القاطعة مع انتفاء الموانع، فإذا ظهرت الحجة مع انتفاء الموانع وهي كثيرة، فلا يجوز التكفير، وهذه الموانع كثيرة فلا يكفّر الجاهل ولا المقلد أو المخطئ أو المؤول أو المكره ⁷⁹ وقلّ أن تَغيب هذه الموانع وهذا ما يجعل الحكم بالتكفير عند أهل السنة أمرا صعب التحقق.

4. التوعية بأسباب التكفير:

يمكن للداعية و العالم و الواعظ و المحاضر والمدرس أثناء تقديم خطابه المسجدي أن يخاطب مستمعيه بتبصيرهم بأسباب التكفير، كما يمكنه الإشارة إلى سببين على سبيل المثال لا الحصر، أحدهما واقعي والآخر نظري.

4.1. السبب الواقعي :

ينقسم إلى سببين داخلي وخارجي :

4.1.1. السبب الداخلي

يعود هذا السبب إلى تضخم الفوارق بين المثل الإسلامية العليا والواقع الذي قلّ فيه الالتزام بالسلوك الإسلامي، كما يعود إلى انتشار كثير من مظاهر التخلف مثل الفقر والجهل والظلم السياسي، وما يترتب على ذلك من ضعف المسلمين، وتعرضهم إلى موجات استعمارية متنوعة الأساليب.

ولا شك أن هذا من شأنه أن يثير مشاعر الغضب العنيفة ضد واقع متأزم، تُجمع الأمة على ضرورة تغييره وتختلف في كيفية هذا التغيير بين مرجحين للتدرج البطيء، ومفضلين للحلول السريعة التي لا خيار لها سوى العنف والتشدد، وهو خيار مستحيل لأنّ ما ضيعته الأمة عبر قرون لا يمكن أن يُستعاد في سنوات وما بناه المسلمون بالحكمة والعلم والاجتهاد لا يمكن أن يعاد بناؤه بالعاطفة والهيجان⁸⁰.

4.1.2. السبب الخارجي

يعود هذا السبب إلى انتشار فكر الحداثة بوصفه فكرا يؤسس إيديولوجية دينية تحصر الوجود في الإنسان والطبيعة، وتفصل بين الدين والحياة وهي إذا اعترفت بالدين فإنها تحصره في بيوت العبادة، وتضيّق عليه الخناق في الحياة الشخصية للأفراد، وسبب ذلك في إحداث ردّات فعل عنيفة ومتطرفة، دفاعا عن الذات وعن قيم الأمة الإسلامية، باعتبار أن هذه الحداثة اقترنت بالاستعمار والهيمنة، وضخمت واقع التبعية التي صارت تهدّد القيم الإسلامية .

وعندما ضعف تأثير الوسطيين واختلقت نخيم في صياغة فكر إسلامي جديد يبني للأمة حداثتها الخاصة، ارتفعت أصوات المتشددين متباهين بانتمائهم للإسلام ومدّعين امتلاكهم الحقيقة المطلقة، فكفروا الوسطيين والحداثيين، وأخرجوا معظم أهل السنة من أهل السنة ورفعوا شعار العزة بالإسلام لكنهم رفعوه بطريقة نفروا الناس من الإسلام.

4.2. السبب النظري

إن السبب المتعلق بالنظري لا يكون كذلك إلا إذا كان تفكيرا ثاقبا معقولا وموضوعيا، أما إذا تعلق الأمر بتكفير الناس، فهو « نظر بصر لا نظر بصيرة، أو نظرات باع

وتقليد لا نظر اجتهاد وتجديد»،⁸¹ ويمكن أن نقسّم هذا السبب إلى نظريتين إحداهما تاريخية والأخرى نصّية.

4.2.1. نظرية التاريخ

تستند العقلية التكفيرية إلى نظرة سكونية للتاريخ تستعيد فكر الخوارج تحت غطاء سلفي وتحكم على أبناء الحاضر بعقلية متشددة مستعارة من أبناء الماضي وتُقوّل السلف ما لم يقولوا، وبذلك يكون التكفيريون قد قاموا بإحياء فكر موات خارج عن الأمة لإخراج أغلب الأمة من الأمة... وليت هؤلاء استعادوا التاريخ بنوره وظلامه، لكنهم طمسوا النور الذي كان، وجعلوا الظلام ظلمات بعضها فوق بعض، فاخفت الحقيقة التي إذا بحث عنها أحد لم يكدرها.⁸²

4.2.2. نظرية نصّية

تستند العقلية التكفيرية إلى ظاهر النصوص ولا تنفذ إلى أعماق المقاصد وتنظر إلى النصوص نظرة تجزيئية، ولا تهتم بالتكامل الحاصل بينها من عدة جوانب ولا بأنواع العلاقة بينها كالعالم والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين ونحو ذلك.⁸³

5. التوعية بسلبيات التكفير ومخاطره :

يجلي الخطاب المسجدي للناس سلبيات التكفير ومخاطره على الفرد والمجتمع ومنها:

5.1. العقلية الصدامية والتحريضية

إنّ تبني التكفير مذهباً في الحياة يعبر عن عقلية صدامية ترفض الحوار مع الآخر، ويحذر التكفيريون بعضهم من سماع العلماء حتى لا يتأثروا بهم، وهذه العقلية الصدامية يمكن تسميتها بالذهنية المعارضة «التي تتصوّر الدّعوة معارضة أبدية ونقداً واتّهاماً تقف عند حدودها، لا تستطيع أن تعيش إلا وسط الفتنة التي من كشف عيوبها وآثامها تتغذّى».⁸⁴

وحسب تصوّر التكفيريين فإن من لم يكفّر فهو كافر، ووصل بهم الأمر إلى تكفير كبار علماء المسلمين لأنهم لم يصدروا فتاوى تكفّر الحكام، وامتد ذلك إلى تكفير المواطنين أيضاً

بدعوى أنهم يعيشون في ظلّ الكفر، وهكذا أضحى الفضاء الذي يعيشون فيه مقسّماً بين صنفين إما مُكفّر أو كافر، فكلّ المجتمع أضحى مدانا بالكفر إلى أن يثبت إيمانه، بل أنّ هذه الجماعة لم تعد تستثني أحداً مدنيّاً كان أو عسكريّاً، حتى إن لم يجدوا من يكفّروه، كفّر بعضهم بعضاً، حتى تسيل الدماء مداراً بينهم.⁸⁵

5.2. العقلية التقليدية والشكلية

إنّ التكفيريين أصحاب تقليد لا أصحاب فقه واجتهاد، ويقلدون أمراء التنظيمات الإسلامية العنيفة وبعض المشائخ من الظاهريين والحرفيين، ويستمعون إليهم ويتزهدونهم وهذا يقودهم إلى التعصب المقيت لأنه يقوم على أساس إيديولوجيا التكفير، ويتجه اهتمامهم بالشكليات والمظاهر دون توجيه العناية بالأمر الجوهريّة في الدين، وأغلب ما يكون اهتمامهم على سبيل المثال بالطهارة الحسّية، والنجاسات المادّية، وأحكام اللباس والزينة إطالة وتقصيراً، واللحوم المحرّمة، وأحكام الشعور ما يقصّ منها وما يعفي وما ينتف وما لا ينتف، وذلك نتيجة الفهم السطحي والحرفي للنص، ليبدو في النهاية نصّاً خارج ظرفي الزمان والمكان، مبتورا من سياقه، فاقداً للبعد التاريخي، مما يشير إلى أنّ الالتباس الذي علّق ببعض النصوص لم يكن إلا نتيجة حتميّة لقراءة قاصرة أنتجت بعض العقول الضيّقة، لتجعل النصّ في مستوى وعمها، وهذا النصّ ليس الدين نفسه بل فهم الدين على طريقة السلف دون زيادة أو نقصان، فدلّ على سوء الفهم بالدين الصحيح، كما يغيب عنهم الفكر النقدي، ورفض الحوار وإهمال الموروث العقلاني للحضارة العربيّة الإسلاميّة، وانحيازهم إلى الفكر المتعصّب، وظهرت تبعاً لذلك ثقافة الإقصاء، وذهنيّة التّحريم.

فينتجلى إشكال النّقل في عدم القدرة على التّفاعل الواعي مع النّصوص القرآنيّة والحديثيّة، المتّصلة بشكل مباشر مع روح ومقاصد الإسلام الكلّيّة واستحضار الواقع المتغيّر، وما طرأ على الكتاب والسنة، من شروحات وتفسيرات وفروع، صاغها العلماء في

زمانهم، لكنّها الآن تشكّل أمام الناظر في كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم كتلة تحجب عنه الاستنباط مباشرة من المعين الصّافي .

كما يظهر ذلك أيضا في جمودهم الفكري، وهروبهم من الواقع، من ذلك « ظهور ذهنيّات عديدة .. ويمكن أن نرصدها في الذهنيّة التبسيطيّة وتظهر في التّصوّرات غير الواضحة والأفكار الهادفة، التي تستند على فهم حرفي للتّصوص القرآنيّة والحديثيّة، هذه الذهنيّة عاجزة عن تصوّر عمل إسلامي في نسق منتظم على منهاج يرتّب الوسائل لتبلغ الأهداف، ويرتّب المراحل والأولويّات، ويترك في حسابه مكانا للمرونة عند الطارئ المفاجئ والضرّورة الغالبة»⁸⁶.

5.3. العقلية الماضية والمنغلقة

يتعامل التكفيريون مع الأزمنة على أنّها ثابتة لم تتغيّر في عمومها فالتطوّرات الحاصلة في التّاريخ الإنساني منذ عصر التّهضة الأوّل بل منذ عصر النّبوة وحتى الآن لا تعدو أن يكون مجرد حصول " تقدم مادّي " للغرب قام على أساس استثمار إنتاجنا العلمي "المغتصب" وهكذا ليس هناك داع لإعادة التّفكير في فهم اللّدين، فاللّدين في معناه النّقي والصّحيح موجود هناك حيث " السّلف الصّالح " ولهذا نشهد تعبير " العودة إلى الإسلام "، دون أن يراود السّلفي تفكير إشكالي في مؤدّى هذا التّعبير حيث يجعل الإسلام خلف الرّمان دوما وليس معه أو أمامه، فهو يردّد بلا كلل، لا يصلح هذه الأمتة إلا بما صلح به أولها قاصدا من هذا النّص ليس اللّدين نفسه، بل فهم اللّدين على طريقة السّلف دون زيادة أو نقصان. ورؤيتهم للتّاريخ الإنساني وتوجههم فيه احتفاء بقضايا الماضي وهروب من الواقع، واعتماد على ظاهر النّص ليبدو في النهاية نصّا واقعا خارج ظرفي الرّمان والمكان، مبتورا من سياقه، فاقتدا للبعد التّاريخي، ممّا يشير إلى أنّ الالتباس الذي علق ببعض التّصوص لم يكن إلّا نتيجة حتميّة لقراءة قاصرة أنتجتها بعض العقول الضيّقة، لتجعل النّص في مستوى وعيها.

إنّه عندما تهيمن الثقافة المغلقة على المجتمعات تصبح تلك المجتمعات تلقائيًا مجتمعات ساكنة، وسكون المجتمعات وركودها يؤدي إلى تباطؤ حركة التاريخ، وحينئذ يصبح من السهولة بمكان التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل، لأنه حتمًا لن يخرج عن إطار الحاضر، بل سيكون صورة مكررة له نتيجة للركود والسكون اللذين يصبغان كل نشاطات المجتمع الذهنيّة والإبداعية.

5.4. العقلية التنزيهية

إنّ الذي يكفر الآخر ينزه نفسه، وينصب نفسه قاضيا، ويقذف الناس بهذه التهمة، معتقدا أن فكره يقيني بدليل أنه مستعد للموت من أجله، ويتصور أن ما يفعله سينال من خلاله الأجر والثواب، ويكون ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة، وسيدخل جنة النعيم، «فالخطورة الكبرى للنهج التكفيري تكمن في أنه يستند إلى المقدس، وسلطة المقدس سهلة التسويق والانتشار، وقد تتحول إلى عنف مبرر، لا يشعر صاحبه بالذنب .. وهكذا يدخل التكفيري ساحة الجريمة بلباس القديس» .

5.5. تغييب منهج الدعوة

إنّ دعوة المسلمين إلى حسن الالتزام بالإسلام، ودعوة غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام، يكون باعتماد الحكمة والموعظة الحسنة والتوسط الاعتدال التيسير ولكن تكفير الآخر من طرف التكفيريين يغيّب صورة الداعية كما أن استعماله العنف اللفظي والمادي ينفر غير المسلمين من الإسلام بدلا من دعوتهم، ويخرج كثيرا من المسلمين من الإسلام بدلا من تمسكهم بدينهم.

5.6. خلل في السياسة الشرعية

إن السياسة الشرعية في المفهوم الإسلامي تقوم على مراعاة المصالح المعترية للأمة ودفع المفسدة، و« السياسة لها آليات عديدة ومتنوعة مثل الحوار والتعبير الحر والاحتجاج

السلمي والتحزب القانوني والانتخاب وغير ذلك مما هو معروف في النشاط السياسي، ولكن حين تجرم الحرية والانتخابات وتكفر الممارسة الديمقراطية كآلية للتداول على السلطة ويتخذ العنف المسلح نهجا للمعارضة تنتهي السياسة ويغال مسارها»⁸⁷ وسلوك التكفيري فيه ضرب لمصالح الأمة، وخطر على الفرد والمجتمع.

كما أن هذه السياسة تقوم على الاجتهاد القابل للخطأ والصواب والمخطئ فيها مأجور وله أجر واحد، لكن التكفيري يسلب السياسي حق الخطأ ويحرمه من ثوابه ولا يعرف له بالصواب حين يصيب ويدخله في دائرة الكفر، وهذا مناف لدعوة الإسلام التي أساسها الدعوة بالحكمة والموعظة والحسنة حتى أن الإسلام لم يخترق مجتمع مكة نهائيا ولم ينشره في جزيرة العرب إلا بعد صلح الحديبية الذي حصلت فيه تنازلات أخرجت الصحابة، لكنها تحولت بفضل الله وبفضل حنكة رسوله السياسية إلى فتح عظيم، قال الزهري عن صلح الحديبية: «فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»⁸⁸.

وهذا يعني أن الحسم النهائي الذي انتشره الإسلام لم يكن عسكريا بل كان سياسيا تفاوضيا وسلميا.

5.7. تشويه صورة الإسلام

إنّ ما نتج عن الغلو في التفكير من عنف ودماء وتخريب وانقسام في العالم الإسلامي شوش على كل داعية معتدل يتبنى خطاب الاعتدال والوسطية، وصعد من ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الرهاب من الإسلام، مع أنّ الإسلام الأصيل بريء من ذلك لكن أعداد كبيرة من جماهير الناس في الشرق والغرب لا يفرقون بين الإسلام والمسلمين، والتمييز بين أصناف الإسلاميين فعندما تخفت أصوات العلماء والمعتدلين، وترتفع أصوات التكفيريين، وتمتلئ الساحة الإسلامية بضجيج أصواتهم وبنادقهم فإن الرأي العام العالمي سيربط حتما

بينهم وبين الإسلام، وسيصف المسلمين والإسلام بالتشدد والتطرف و بالترهيب بدل الترغيب وتطمس بذلك الصورة النقية للإسلام.⁸⁹

إن توعية الخطاب المسجدي بسلبيات ومخاطر الكفر والتكفير والتحذير منهما، وبالاستناد إلى النص القرآني والسني والأمثلة من التراث الإسلامي الزكي..يساهم في إقناع المتلقين لهذا الخطاب والتأثير فيهم وتحذير من الكفر والتكفير، والتبصير بأن الدين الإسلامي دين الاعتصام بحبل الله المتين، ودينه القويم، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).⁹⁰

خاتمة:

إذا تلوثت أفكار الناس بمبادئ وافدة ومناهج دخيلة وأفكار منحرفة وثقافات مستوردة فإن ذلك قد يهدد كياناتهم، ويقضي على مقومات بقائهم، وإذا اطمأن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومثل ومبادئ، فقد يتحقق لهم الأمن في أسس صورته وأجلى معانيه، لهذا حرص الإسلام على حماية الفرد والمجتمع من جميع الانحرافات الفكرية لتحقيق الأمن والاستقرار.

وإن الحياة المعاصرة قد تبدو في ظاهرها، مستغنية أو معرضة عن المسجد، ولكن الحقيقة أنها أشد ما تكون حاجة إلى التوعية والتوجيه والإرشاد من خلال الخطاب المسجدي بشرط أن يرتفع هذا التوجيه ليجعلها في مستوى المطلوب لتحقيق المنفعة الحقيقية والمصلحة المرجوة، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى أن يقوم الخطاب المسجدي برسالته في إصلاح الفرد والمجتمع وبأن يقوم بدوره التوعوي والقيمي والتربوي والتعليلي للتحذير من الكفر والتكفير.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث ما يلي:

- المفارقة الكبيرة بين الصّورة التي رسمها التكفيري في عقله بحكم أفكاره الخاطئة ومفاهيمه المغلوطة، حيث أُلزم نفسه رهانات عالية وكأنه هو القاضي بين الناس، يحكم عليهم بالكفر والإيمان ويفرق بين المسلم والكافر، وبين هذه الصورة والصّورة الحقيقية للإسلام الذي ينهى عن التطرف والتشدد والكفر والتكفير.

- احتل التكفير عقول عدد من أبناء المسلمين، وامتد حتى صار موجة عاتية تنسف السلام، وتشوه نقاوة الإسلام، وتحوّل إلى نهج متشدد ومتطرف في فهم النصوص الدينية، وتطور إلى عنف لفظي، ثم تضخم وصار عنفا ماديا، يستبيح الدماء والأموال، وينشر الفوضى بين المسلمين وغيرهم.

- أهمية التمييز بين النّص الدّيني والخطاب الدّيني، حيث أنّ فهم النّص ليس ديناً، باعتبار أنّ هذا الفهم يمكن أن يكون صائباً كما يمكن أن يكون خاطئاً، وأنّ القصور في الخطاب الدّيني لا يعني قصوراً في الدّين، فهناك فرق بين الدّين كوهي ربّاني يشكل نظريّة حياة متكاملة خالدة، وبين إخفاق المسلمين في ترجمة النّظريّة إلى واقع حضاري، فالخطاب المتطرّف مثلاً لا يعبر أبداً عن قيم الإسلام ومبادئه السّامية

- أهمية الخطاب المسجدي اليوم في نشر قيم السلم والمحبة والأخوة والتعاون والتسامح والوسطية والاعتدال ونبذ التشدد والتعصب والتطرّف والتحذير من مخاطر الكفر والتكفير والتصدي للأفكار الضالة والرؤى المنحرفة، بما يشيع الأمن والسلم المجتمعي والإنساني وذلك باعتماد الحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة استجابة لقول الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)⁹¹.

- ضرورة معاودة دور المسجد من قبل المؤسسات التربوية والتعليمية الاجتماعية والإعلامية وفي الفضاء الافتراضي للتحذير من خطر الكفر والتكفير، لأنّ عدم التحذير منهما يؤدّي حتماً إلى الإخلال بالسلم المجتمعي.

- الأثر التغريبي الذي أثر في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في كثير من العالم الإسلامي،⁹² وسعيه إلى إبعاد المسلمين عن القرآن والسنة،

والقيم الإسلامية، وضعف تأثير الواسطين في صياغة فكر إسلامي جديد يبني للأمة حدائتها الخاصة بها، سبب ردّات فعل عنيفة متطرفة وتكفيرية، وفتح المجال لظهور أصوات المتشددين التكفيرين في المجتمع.

وعليه وفي ضوء ما أسفر عنه البحث يمكن تقديم التوصيات التالية:

- أهمية تكوين رؤية أو تصور أو استراتيجية تكون ناجعة وفاعلة مبنية على بحوث ودراسات علمية للوقوف على مواطن الخلل والقصور الناجم عن تواصل وجدود أفكار منحرفة وتكفيرية، وممارسة التّقدّ الدّاتي، ومداومة المراجعة والمتابعة واستجلاء السّبل والوسائل والآليات الكفيلة بحماية الأفراد والمجتمعات والحفاظ على أمنهم واستقرارهم.

- أهمية الوعي بدور الخطاب الدّيني المسجدي الرشيد والمستنير والمعتدل في ترسيخ قيم التّسامح والتّكافل والتّأزر والمحبة والأخوة والحوار والوساطة والاعتدال والتّحذير من الكفر والتكفير، وأثر الخطاب الدّيني المتشدّد في نشر ثقافة الانغلاق والتعصّب والتطرّف، وأهميّة تحييد بيوت الله عن كل خطاب متطرف.

- وضع صنافه قيمية،⁹³ إجرائية تتحوّل بمقتضاها القيم من مفاهيم معرفية نظرية إلى كفايات عملية ذات أبعاد مهارية وسلوكية في ظلّ التّحولات العلمية والثّقافية والتّربوية الحديثة، باعتبار قيمة الممارسة والتّطبيق، والانتقال من الفكرة إلى الفعل، وأن لا تبقى المواعظ والإرشادات في المساجد مجرد معلومات دون أن تتحوّل إلى ممارسة وسلوك للقيم والمبادئ الإسلامية في الواقع، فضلا عن إبراز الصورة السمحة للإسلام، وتجنب الانحراف الفكري والأخلاقي، لحماية أفراد المجتمع وخاصة الشباب حتى لا يكونوا لقمة سائغة لدى " من الدّعاة " من أصحاب المذاهب المتطرّفة، لأنّ عمل هؤلاء إنّما يدور في محيط المصلّين المرتادين للمساجد .

- نشر الخطب والمحاضرات والدروس التي تُعنى بهذا الموضوع من خلال الوسائط الإلكترونية والصوتية.

- تطوير الخطاب الديني المسجدي الذي يمثل المرآة التي تعكس صورة المجتمع، وترشيده وتطويره وتجديده ضرورة دينية وعقلية وفكرية، وخاصة في ضوء متطلبات وتحديات العصر حاضرا ومستقبلا، وتطور حاجات الإنسان المتعددة وحاجته إلى فكر وخطاب متجدد، يلبي هذه المتطلبات والمتغيرات في مختلف مجالات الحياة من جهة، ولبروز تيارات عنف وتكفير وتهديد للاستقرار والوئام والوحدة المجتمعية من جهة أخرى.

- ضرورة تضافر الجهود بين جميع المؤسسات التعليمية والتربوية والدينية والإعلامية وحتى في الفضاء الافتراضي وذلك للتحذير من الكفر والتكفير والتوعية بخطرهما على الفرد والمجتمع، لأن المسؤولية مشتركة بين الجميع.

- الضبط الاجتماعي لحمل الأفراد على ممارسة السلوك السوي دون انحراف أو اعتداء، وخاصة في ظلّ واقع صعب في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. لأنّ تدهور الضبط الاجتماعي يؤدي إلى عدم احترام القوانين والأعراف والقيم.

- يفتح هذا البحث مجالاً للبحث النظري و الدراسة الميدانية حول هذا الموضوع تعتمد على استبيانات في الغرض، لإجراء تقييم معمق يكشف مواطن القوة ومواطن الضعف، وإضفاء أكبر قدر ممكن من العلمية والموضوعية على النتائج المرجوة، وتحيل إلى مشاريع أخرى دينية وتربوية ونفسية لفهم حقيقة الكفر والتكفير وطبيعة الممارسات التواصلية لدى التكفيرين مع الآخرين بشكل حيّ وواقعي، وتحديد سبل التوقي من انتشار هذه الظاهرة، واستجلاء شتى السبل لاجتثاثها، وتقديم الحلول الناجعة، لتكون مرتكزات نبني عليها عملية التقييم وننطلق منها للإصلاح والبناء تحقيقاً للأمن والسلم المجتمعي والعالمي والإنساني .

قائمة المصادر والمراجع:

• الكتب:

1- القرآن الكريم على رواية قالون.

- 2- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، مج: 2 ، 1988.
- 3- ابن منظور، لسان العرب المجلد 1، داربيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968 .
- 4- مجمع اللّغة العربيّة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، مج: 2، 1996.
- 5- مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دارالدّعوة، اسطنبول، 1989.
- 6- العدناني (محمّد)، معجم الأخطاء الشّائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط : 2، 1980.
- 7- الكفوي (أبوالبقاء)، الكلّيات، طبعة مؤسّسة الرّسالة، بعناية عدنان درويش ومحمّد المصري، بيروت، 1992.
- 8- الشّهري (عبدالهادي بن ظافر)، استراتيجيّات الخطّاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط : 2004، 1 .
- 9- الرّمخشري (أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، أساس البلاغة، دار الفكر، ط: 1، 1399 هـ-1979 م.
- 10- يعقوب (إميل)، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة، دارالعلم للملّيين، بيروت، 1987.
- 11- طه (عبد الرحمان)، اللّسان والميزان، طبعة المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، 1998.
- 12- الأمدي (سيف الدّين)، منتهى السؤل في علم الأصول، ج : 1، الجمعيّة العلميّة الأزهرية المصريّة، القاهرة، دون تاريخ.
- 13- الأمدي (سيف الدّين)، الإحكام في أصول الأحكام، دارالكتب العلميّة، بيروت، ط: 1، مجلد 1. 1980.
- 14- يونس (محمّد)، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دارالكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2004 .
- 15- ناصف (مصطفى)، اللّغة والتّفسير والتّواصل، سلسلة عالم المعرفة، 1995 .
- 16- مذكور(ابراهيم) وآخرون، المعجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، مصر 1411هـ/1990.

- 17- الزركشي (محمد بن عبدالله)، أعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص : 26 ، ط : 4 ، 1416 هـ / 1996 م.
- 18- طبارة (عفيف عبد الفتاح)، روح الصلاة في الإسلام، المسجد ورسالته (الفصل السادس)، دار العلم للملايين، ط : 5 ، بيروت، 1394هـ/1974م.
- 19- السمالوطي (نبيل محمد توفيق)، الدين والبناء الاجتماعي، ط : 1، ج : 2، دار الشروق للطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1981.
- 20- ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، ج : 8 ، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.
- 21- مؤنس (حسين)، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد : 37، الكويت، 1981 .
- 22- ابن عبد الله (تميم)، التدابير الواقية من الانحراف الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1427هـ .
- 23- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، دار فهرمان، اسطنبول، تركيا، 1986.
- 24- التفتازاني، شرح المقاصد، ج: 5، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ط : 2 ، 1419هـ/1989م.
- 25- القاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة القاهرة، ط: 1، 1384هـ/1965م
- 26- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة دار اللبناني بيروت ط: 1، 1993.
- 27- الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، وقائع الندوة المولدية، حول: الحكمة والموعظة الحسنة من أسس التعايش السلمي، الدورة 42، بالقيروان، 7 و8 ربيع الأول 1436هـ/ 29 و30 ديسمبر 2014، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2016، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص : 84.
- 28- العايد (ابراهيم بن صالح)، التكفير عند جماعات العنف المعاصرة مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1 ، 2014 .
- 29- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار مكتبة هلال بيروت، لبنان، ط : 1، 1990.
- 30- القرضاوي (يوسف)، فقه الجهاد، ج: 2 مكتبة وهبة القاهرة، ط : 3، 2009.

- 31- البخاري، صحيح البخاري، الدار المتوسطة للنشر تونس ط: 1، ج: 4 ، 1426هـ/2005م،
- 32- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المنار، القاهرة، ط: 1، (مصححة)، ج: 10 ، 1419هـ/1999م.
- 33- ابن الملقن، (عمر بن علي) (ت 804 هـ) التوضيح لشرح الجامع الصحيح وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ط: 1 ج 1429، 28/2008م.
- 34- ابن أبي جمرة (أبي محمد عبد الله)، بهجة النفوس، ج: 1، ط: 1، الصدق الخيرية، مصر، 1348 هـ.
- 35- الفسوي (يعقوب بن سفيان)، المعرفة والتاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2 ، 1401هـ- 1981 م .
- 36- الندوي (أبو الحسن علي الحسيني)، السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط: 8، 1409 هـ- 1989 م .
- 37- المغراوي (محمد بن عبد الرحمان)، موسوعة مواقف السلف، ج : 2، المكتبة الإسلامية، القاهرة، 1428هـ-2007م
- 38- الطريقي (عبد الله بن إبراهيم)، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط دراسة تأصيلية، دار الوطن، الرياض، 1405هـ.
- 39- الشريف الجرجاني، شرح كتاب الموافق للإيجي، دار الجيل بيروت، ط: 1، 1417هـ/1927م، ج : 3 ، ص : 564.
- 40- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، نشر فرائز شتاير بفيسدن- ألمانيا، ط : 3 ، 1400 هـ /1980م.
- 41- الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، دار الفكر اللبناني بيروت، ط : 1، 1993.
- 42- ياسين (عبد السلام)، المنهاج النبوي، تربية وتنظيم وزحفا، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع،، ط : 3 ، 1994.
- 43- ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، (دون تاريخ)، ج : 3 .

● مقالات:

- 1- الشّايبي (إبراهيم)، دواعي الإرهاب فكريّة، والمعالجات لن تكون إلّا فكريّة، اجتماعيّة، واقتصاديّة، جريدة الأنوار التّونسيّة العدد: 1774، السنة: 35، 28 نوفمبر 2015 .
- 2- فكرة (سعيدة)، و بخوش (أحمد)، مكونات الأمن الفكري وضوابطه، دراسة سوسيوولوجية، مجلة الإحياء، العدد: 4.
- 3- قدور (أحمدا لثامر)، ظاهرة التكفير في الإسلام، مجلة الباحث العلمي، عدد: 17 صنعاء
- 4- العليوي (أبوالقاسم)، السنّة 33، شوال 1429 هـ / أكتوبر 2008م، منهجيّة الخطبة الجمعيّة، مجلّة الهداية العدد 176، السنّة 33، شوال 1429 هـ / أكتوبر 2008م.
- 5- المزوغي (حسين)، خصائص الخطاب الدّيني الحديث، مجلّة الهداية، عدد: 3، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثّانية / 23 أوت، 21 أكتوبر 1998 م.
- 6- الطيار (أحمد عبد الله)، تأويل الخطاب الدّيني في الفكر الحدائى الجديد، حولية كلية 4 – أصول الدين، القاهرة، العدد : 22 ، مج : 3 ، 2005 .
- 7- أبوعطايا (أشرف) و أبوزينة (يحيى عبد الهادي)، تطوير الخطاب الدّيني كأحد التّحدّيات التّربويّة المعاصرة، ص: 687، بحث مقدّم في مؤتمر "الإسلام والتّحدّيات المعاصرة" المنعقد بكلّيّة أصول الدّين بالجامعة الإسلاميّة في الفترة: 2007/4/3/2م.

• المراجع الأجنبيّة:

1- A.J GREIMAS, J.COURTES : SEMIOTIQUE, DICTIONNAIRE RAISONNE DE LA THEORIE DU LANGUAGE, HACHET UNIVERSEL, 1ER EDITION, PARIS, 1979, P 102.

الإحالات والهوامش المرجعية:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، مج: 2 ، ص : 856 .
- 2 - مجمع اللّغة العربيّة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، مج: 2، (مادة خطب)، 1996.
- 3 - سورة ص، الآية: 20 .

- 4 - مجمع اللغة العربيّة: المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، اسطنبول، ص : 243، 1989.
- 5 - العدناني(محمّد)، معجم الأخطاء الشّائعة، مكتبه لبنان، بيروت، ط : 2، مادة (خطب) ، 1980.
- 6 - الكفوي (أبو البقاء)، الكلّيّات، طبعة مؤسّسة الرّسالة، بعناية عدنان درويش ومحمّد المصري، بيروت، 1989، ص : 419.
- 7 - الشّهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيّات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط: 1، 2004، ص : 36 .
- 8 - سورة طه، الآية: 95 .
- 9 - سورة الحجر، الآية: 57.
- 10 - الرّمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، أساس البلاغة، دار الفكر، ط: 1399، 1 هـ- 1979م، ص: 114 .
- 11 - يعقوب (إميل)، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، مادة (خطب) .
- 12 - A.J GREIMAS, J.COURTES : SEMIOTIQUE, DICTIONNAIRE RAISONNE DE LA THEORIE - 12 DU LANGUAGE, HACHET UNIVERSEL, 1ER EDITION, PARIS, 1979, P 102
- 13 - الطبار (أحمد عبد الله)، تأويل الخطاب الدّيني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية 4 - أصول الدين ، القاهرة ، العدد : 22 ، مج : 3 ، 2005 ، ص: 12.
- 14 - طه (عبد الرحمان)، اللّسان والميزان، طبعة المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص : 215.
- 15 - الأمدي (سيف الدّين)، منتهى السؤل في علم الأصول، الجمعيّة العلميّة الأزهرية المصريّة، القاهرة، د ت، ج : 1، ص: 17.
- 16 - الأمدي (سيف الدّين)، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 1، مج : 1، 1980، ص: 136 .
- 17 - يونس (محمّد)، 204، مقدّمة في عليّ الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2004، ص : 13 .
- 18 - أبو عطايا (أشرف) وأبو زينة (يحيى عبد الهادي)، تطوير الخطاب الدّيني كأحد التّحدّيات التّربويّة المعاصرة، بحث مقدّم في مؤتمر "الإسلام والتّحدّيات المعاصرة"، المنعقد بكلّيّة أصول الدّين بالجامعة الإسلاميّة، في الفترة: 2007/4/3/2، ص: 687 .
- 19 - ناصف (مصطفى)، اللّغة والتّفسير والتّواصل، سلسلة عالم المعرفة، 1995، ص: 332 .
- 20 - سورة الصافات، الآية: 103.
- 21 - سورة الصافات، الآية: 103.

- 22 - العليوي (أبوالقاسم)، منهجية الخطبة الجمعية، مجلة الهداية العدد 176، السنة 33، شوال 1429هـ / أكتوبر 2008م ص : 10 .
- 23 - مصدر نفسه، ص: 10 .
- 24 - المزوغي (حسين)، خصائص الخطاب الديني الحديث، مجلة الهداية، عدد 3، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثانية /23 أوت، 21 أكتوبر 1998 م، ص: 78.
- 25 - المزوغي (حسين)، م. س، نفس الصّفحة .
- 26 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص: 98 .
- 27 - مذكور(ابراهيم) وآخرون، المعجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر 1411هـ/1990، ص: 303.
- 28 - الزركشي (محمد بن عبد الله)، أعلام الساجد بأحكام المساجد ص: 26 ، ط: 4، 1416 هـ / 1996 م. والقاموس ج: 1، ص: 300- مادة (سجد) والصحاح، ج: 2 ص: 483 ، وتاج العروس، ج : 2، ص: 371، 372، مادة (سجد).
- 29 - طيارة (عفيف عبد الفتاح)، روح الصلاة في الإسلام، المسجد ورسائله (الفصل السادس)، دار العلم للملايين، ط: 5، بيروت، 1394هـ/1974م، ص: 212.
- 30 - السمالوطي (نبيل محمد توفيق)، الدين والبناء الاجتماعي، ط: 1، ج: 2، دار الشروق للطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1981، ص : 43 .
- 31 - أخرجه البخاري في صحيحه في التيمم، ج: 1، ص: 86، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد وموضع الصلاة، ج: 1 ص: 371، بلفظ: وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه ف قيل : مسجد ، ولم يقولوا : مركع ، ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، المجتمع : موضع الاجتماع ، ولجماعة من الناس . (محدثة).
- 32 - مصدر سابق، طيارة (عفيف عبد الفتاح)، روح الصلاة في الإسلام، ص: 220-219.
- 33 - ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ج: 8، ص: 87-88.
- 34 - مؤنس (حسين)، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 37، الكويت، 1981، ص: 38-39.
- 35 - الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، دار فهران، اسطنبول، تركيا، 1986، ص: 653.
- 36 - سورة الممتحنة، الآية : 4.
- 37 - سورة البقرة، الآية: 256.

- 38 - يُنظر إلى: التفازني، شرح المقاصد، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ط: 2 ، 1419هـ/1989م، ج : 5، ص : 189، والقاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة مكتبة وهبة القاهرة ط : 1، 1384هـ/1965م، ص : 717-718.
- 39 - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة دار اللبناني بيروت ط:1، 1993، ص: 55.
- 40- الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، وقائع الندوة المولدية، حول الحكمة والموعظة الحسنة من أسس التعايش السلمي، الدورة 42، بالقيروان، 7 و8 ربيع الأول 1436هـ/29 و30 ديسمبر 2014، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2016، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص: 84.
- 41 - العايد (ابراهيم بن صالح) " التكفير عند جماعات العنف المعاصرة مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط: 1، 2014، من ص : 14.
- 42 - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار مكتبة هلال بيروت، لبنان ط:1، 1990، ص: 265.
- 43 - القرضاوي يوسف، فقه الجهاد، مكتبة وهبة القاهرة ط: 3، ج: 2، 2009، ص : 1167.
- 44 - البخاري، كتاب الأدب باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال حديث رقم: 6103. الدار المتوسطة للنشر تونس، ط : 1، 1426هـ/2005م، ج: 4 ص 78.
- 45 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المنار، القاهرة، ط : 1، (مصححة)، 1419هـ/1999م ج : 10، ص : 545.
- 46 - مصدر نفسه، ج: 10 ، ص 545.
- 47 - البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، حديث رقم 6105، ج 4، ص 79.
- 48 - يُنظر إلى: ابن الملقن، عمر بن علي (ت 804 هـ) التوضيح لشرح الجامع الصحيح وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ط : 1، 1429/2008م، ج 28 ، ص : 370.
- 49 - ابن أبي جمرة (أبي محمد عبد الله) ، بهجة النفوس ، ج: 1، ص: 112. ط: 1، 1348 هـ . - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص: 237 50
- 51 ابن عبد الله (تميم) ،التدابير الواقية من الانحراف الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1427هـ ، ص: 49 .
- 52 - يُنظر إلى موقف علماء العقيدة من ظاهرة التكفير في الإسلام لقدور أحمد الثامر، مجلة الباحث العلمي، عدد: 17 صنعاء.
- 53 - أخرجه البخاري في صحيحه، ج:7، ص: 493 .
- 54 - أخرجه البخاري في صحيحه، حديث عدد: 5700.
- 55 - الفسوي (يعقوب بن سفيان)، المعرفة والتاريخ، ص: 118. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2 ، 1401هـ- 1981 م .
- 56 - بهجة النفوس لابن أبي جمرة، الصدق الخيرية، مصر، ط: 1، ج : 1، ص : 112.

- 57 - الندوي (أبو الحسن علي الحسني)، السيرة النبوية، ص : 192. دار الشروق - جدة، ط: 8، 1409 هـ-1989 م .
- 58 - سورة الحج، الآية: 78.
- 59 - سورة البقرة، الآية: 185.
- 60 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم : 39 .
- 61 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ، رقم : 2670 .
- 62 - أخرجه النسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى حديث: "بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين..".
- 63 - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج: 1، ص: 94.
- 64 - أخرجه الدارقطني في سننه، ج : 3 ص: 254.
- 65 - أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم : 5832.
- 66 - سورة آل عمران، الآية: 159.
- 67 - المغراوي (محمد بن عبد الرحمان)، موسوعة مواقف السلف، ج : 2 ، المكتبة الإسلامية، القاهرة، 1428هـ-2007م، ج : 2، ص : 12 .
- 68 - سورة البقرة، الآية: 143 .
- 69 - تفسير ابن كثير، ج: 2، ص: 454 .
- 70 - الطريقي (عبد الله بن إبراهيم)، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط دراسة تأصيلية، دار الوطن، الرياض، 1405، ص: 43.
- 71 - مصدر سابق، الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، ص: 80.
- 72 - مصدر نفسه، ص: 93.
- 73 الشريف الجرجاني، شرح كتاب الموافق للإيجي، دار الجيل بيروت، ط: 1، 1417هـ/1927م، ج : 3 ص : 564.
- 74 - فرقة من فرق الشيعة تنتسب إلى أبي الخطاب الأسدي، قالوا الأئمة أنبياء وأبو الخطاب نبي وغير ذلك من أنواع الغلو، كتاب المواظف للإيجي وشرحه للشريف الجرجاني، ج : 3، ص : 673.
- 75 - الشريف الجرجاني، شرح المواظف، ج: 3، ص: 565.
- 76 - نفس المصدر، ج: 3، ص: 565.
- 77 - الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، نشر فرائزشتاير بفيسدان- ألمانيا، ط: 3، 1400هـ/1980م، ص : 2-1 .
- 78 - الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، دار الفكر اللبناني بيروت، ط: 1، 1993، ص: 73.

- 79 - يُنظر تفصيل ذلك في كتاب العايد ابراهيم بن صالح، " التكفير عند جماعات العنف المعاصرة"، مركز مناء للبحوث والدراسات، بيروت، ط: 1، 2014، من ص: 28 الى ص : 44 .
- 80 - مصدر سابق، الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، ص: 76.
- 81 - مصدر نفسه، ص: 76.
- مصدر سابق، الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، ص: 78. 82.
- 83 - مصدر نفسه، ص: 78.
- 84 - ياسين (عبد السلام)، المنهاج النبوي، تربية وتنظيما وزحفا، الشركة المتّحدة للنّشر والتوزيع، 1994، ط : 3 ، ص : 217-219 .
- 85 - يُنظر إلى: الشّايبي (إبراهيم)، دواعي الإرهاب فكريّة، والمعالجات لن تكون إلا فكريّة، اجتماعيّة، واقتصاديّة، جريدة الأنوار التّونسيّة العدد: 1774، السنة: 35، 28 نوفمبر 2015 .
- 86 - ياسين (عبد السلام)، المنهاج النبوي، تربية وتنظيما وزحفا، الشركة المتّحدة للنّشر والتوزيع، 1994م، ط : 3 ، ص : 217-219 .
- 87 - مصدر سابق، الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، ص: 76.
- 88 - ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، (دون تاريخ) ج : 3 ، ص : 206 .
- 89 - مصدر سابق، الشتيوي (محمد)، التفكير في ظاهرة التكفير، ص: 98-99.
- 90 - سورة آل عمران، الآية : 103 .
- 91 - سورة النحل، الآية : 125 .
- 92 - فكرة (سعيدة)، وبخوش (أحمد)، مكونات الأمن الفكري وضوابطه، دراسة سوسولوجية، مجلة الإحياء العدد: 4
- 93 - الصنافة القيميّة ترتيب منظمّ ومتكامل لعدد من المفاهيم القيميّة يتمّ تصنيفها وفق رؤية تربويّة تستند إلى مرجعيّة معرفيّة وثقافيّة محدّدة.

